إلى المواجهة

ذكريات د. عدنان مسودي

عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس

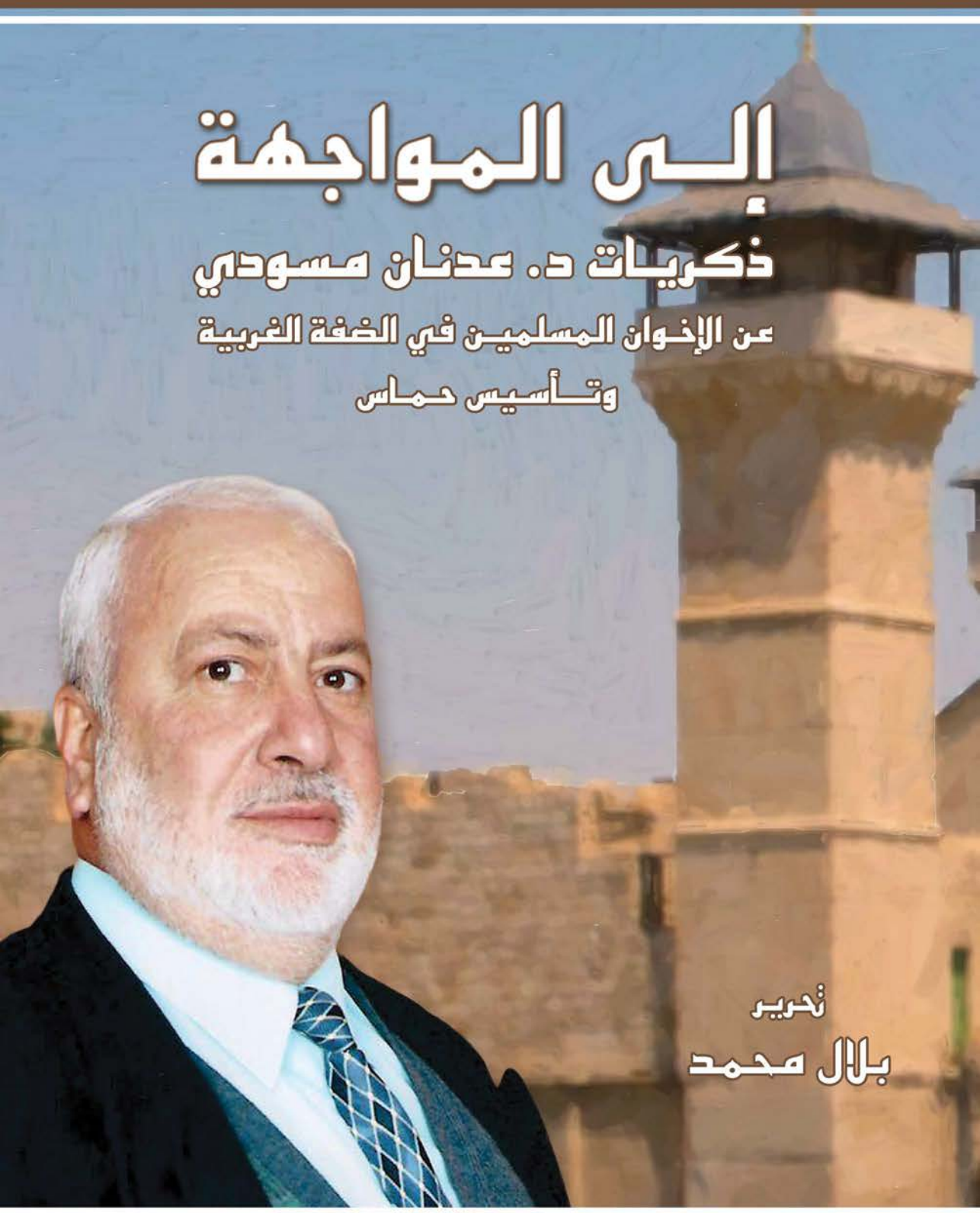

تحرير
بلال محمد

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الفصل الأول

البداية (1944-1956)

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

البداية (1944-1956)

في مدينة الخليل، وفي بيت من بيوت الإخوان المسلمين، ولدتُ في 1944/7/30، فوالدي عبد الحافظ مصباح مسودي رحمه الله كان من الرجال المؤسسين لجماعة الإخوان المسلمين في الخليل سنة 1949، وأمي زهرية محمد زين الدين الشريف رحمها الله كانت متدينة، وكان والدها وجدها من دراويش زاوية الأشراف، وكذلك جدي الحاج مصباح، الذي كان منشداً وملتزماً بالطريقة الخلوتية الرحمانية[1] للشيخ عبد الرحمن الشريف[2] رحمة الله عليهم جميعاً.

كان بيتنا المملوك لجدي الحاج محمد زين الدين الشريف، قرب الحرم الإبراهيمي مقابل مقهى المحتسب، وقد أحدث والدي رحمة الله عليه تحسيناً، فأضاف إليه مطبخاً وحماماً. وسكنّا فيه أنا وأمي وأختي فايزة وأخي تيسير، وكان والدي يتردد علينا، حيث كان متزوجاً من أخرى، وله بيتٌ آخرُ في "المحاور"[3].

دروب البلدة القديمة والحرم الإبراهيمي

مدينةُ الخليل في الفترة المبكّرة من حياتي، كادت تكون محصورةً فيما يُسمّى اليوم بالبلدة القديمة، والتي لم تكن حدودُها تتعدى منطقة باب الزاوية، ثم تنتشرُ بساتين العنب حول المدينة كلها، ويشكل المسجدُ الإبراهيمي "الحرم" بما يحمله من

[1] الطريقة الخلوتية الرحمانية: طريقة صوفية تعرف بالطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، مؤسسها الشيخ عبد الرحمن الشريف (المتوفى سنة 1888)، تعرف نفسها بأنها طريقة جمع فيها شيخها الخلوتي عدداً من الطرق الصوفية (الرفاعية، القادرية، الأحمدية، الدسوقية، اليشرطية، النقشبندية، الأدريسية)، بأسانيدها وآدابها وأورادها. تشكل مدينة الخليل وزاوية الأشراف المغاربة فيها مركزاً مهماً لأتباع الطريقة حتى يومنا الحاضر. للمزيد انظر: موقع دار الإيمان، في: http://www.daraleman.net (المحرر)

[2] عبد الرحمن الشريف (-1888): مؤسس الطريقة الخلوتية الرحمانية، عاش في مدينة الخليل وأشرف على زاوية الأشراف. وضع كثيراً من الأوراد والأذكار لأشياع الطريقة، توفي في الخليل ودفن في الزاوية. (المحرر)

[3] تزوج عبد الحافظ مصباح عبد الحافظ عبد القادر مسودي من زهرية محمد زين الدين الشريف وأنجب منها عدنان و"محمد تيسير" وفايزة، كما تزوج من ليلى أحمد صندوقة التي أنجبت منه أنور و"محمد أكرم" وحازم ونائلة و"محمد أسامة" وأحلام. وللمزيد عن مدينة الخليل القديمة، انظر: نظمي الجعبة (محرر)، **الخليل القديمة: سحر مدينة وعمارة تاريخية** (الخليل: لجنة إعمار الخليل، 2008). (المحرر)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

قيمةٍ تاريخيةٍ وعبقٍ روحيٍّ قلب هذه المدينة وأساسها الحيوي، وكان الناس رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، يحضرون لأداء الصلوات الخمسِ فيه، خصوصاً في شهر رمضان المبارك، بالإضافة إلى حضورهم الدرس اليومي بعد صلاة الفجر. وأذكر أنني كنت أحضر درس أحد المشايخ الكبار وهو الشيخ داري البكري[4]، والذي استلم مهمة التدريس بعده تطوعاً الشيخ شكري أبو رجب الذي كان يسكن بجوار المسجد الإبراهيمي[5].

وما أجمل أيام رمضان في مدينة الخليل آنذاك، وما أحلى ذلك الوقت الذي يلي الإفطار، فقد كان الباعة ينتشرون لبيع الحمّص والفول المسلوق والحمّص الأخضر المشوي أو الترمس، وكان الأطفال يلعبون على السهلة وعند بركة السلطان، علماً أن الكهرباء في تلك الفترة لم تكن متوفرة، ولم يكن متوفرٌ للناس ما هو متوفر اليوم، ولكن الحياة كانت جميلة وهانئة على الرغم من الفقر.

ولم يكن في تلك الفترة في الخليل من يجاهر بمعصية كالإفطار في رمضان أو غيرها، وعندما تشكلت وقويت الأحزاب اليسارية (الحزب الشيوعي لاحقاً)؛ كان أحدهم يسير في المظاهرة معلناً أنه لا إله! فكانت هذه مصيبة وكارثة مخالفة لما كان عليه أهل المحافظة، لذا كثرت الصدامات والخلافات فيما بعد.

والحرم في تلك الفترة هو المكان الذي كان يُؤثِر أهل الخليل الصلاة فيه، وقد تشكلت لاحقاً مجموعةٌ تسمي نفسها "السنية"، نادت بتحريم الصلاة فيه لاحتوائه على عدد من القبور، وبنوا مسجداً بجوار سوق الخضار سمي مسجد السنية، وكان الشيخ عبد الرحمن سلطان شيخ هذا المسجد، وقد تميّز أتباع هذه الجماعة بلباس محدد وصفة معينة تميزهم عن غيرهم من السكان. وبالإضافة إلى الصلاة كانت بعض الطُّرق

[4] الشيخ داري البكري (1891 تقريباً–1960): ولد في الخليل، وهو ابن الشيخ عبد الغني محمد رشيد البكري، درس العلوم الشرعية في الأزهر بمصر. عمل مدرساً في الحرم الإبراهيمي بعد عودته من مصر، مارس الإفتاء، ودرّس في المدارس الحكومية في العهد الأردني، وعين مأذوناً شرعياً. (المحرر)

[5] الشيخ شكري أبو رجب (1899-1986): أحد أبرز وجوه الإخوان المسلمين في مدينة الخليل. أسهم في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية واستلم رئاسة هيئتها الإدارية لمدة طويلة. حصل على الشهادة العالمية للغرباء من الأزهر سنة 1925، وشغل عدداً من المناصب أبرزها الإمامة في مسجد القزازين الكبير، والتدريس. انظر حديث الدكتور عدنان مسودي عن سيرته، ص 43. (المحرر)

الصُّوفية تقوم بحلقات ذكر في الحرم، حتى أني لا أزال أذكر جلسات الإنشاد التي كان جدي مصباح يقودها منشداً أبياتاً شعرية للشاعر الصُّوفي ابن الفارض[6].

الخليل والمحيط الخارجي

في تلك الفترة لم يكن التواصل بين مدينة الخليل وغيرها من المحافظات سهلاً، وكان جُلّ هذا التواصل تجارياً، فقد جرت العادة أن يذهب أهل الخليل مثلاً إلى نابلس ليشتروا الصابون أو الحلقوم [نوع من الحلوى] أو الزيت،...إلخ، ويقومون بتصدير الجلود والفخار أو غير ذلك مما كانوا ينتجونه إلى المدن الأخرى. ما كان هناك من رحلات تنظمها المدارس، ولم أكن أعرف من مناطق فلسطين وقت تخرجي من الثانوية إلا رام الله والقدس، حيث كنا نذهب لنصلي في الأقصى، وربما كان الفقر هو الذي حرم أهل الخليل التواصل مع غيرهم من أبناء المدن الأخرى.

نكبة 1948

كان عمري عندما تدفق العشرات من اللاجئين إلى منطقة الخليل أربع سنوات، ولكني لا أزال أذكر منظر اللاجئين المنهكين القادمين من الفالوجة ومن بيت جبرين. سكن منزلنا منهم ثلاثة، الأختان ظريفة ومليحة وأبو خضر شتات، وسكن عدد منهم منطقة فيها بعض الكهوف الناتجة عن استخراج أهل الخليل "للحوَّر" والذي يستخدمونه في صناعة الدِّبس (أو العسل الأسود كما يسميه أهل مصر).

مشهد اللاجئين هذا كان دافعاً لي ولعدد كبير من أهل المدينة للالتحاق في صفوف الحرس الوطني، كأعضاء أو متدربين، فتدربت على حمل السلاح واستخدامه، ولكنه كان تدريباً سيئاً لسوء السلاح! في تلك الفترة كان الإخوان المسلمون على رأس المتطوعين في حرب 1948، ولكن، بعد حسم الأمور لصالح الصهاينة، وبدل أن يعملوا على استكمال ما بدؤوا به، استكان الإخوان المسلمون في الضفة الغربية

[6] ابن الفارض (1181-1235م): عمر بن علي الحموي، ولد في مصر، وهو من أشهر شعراء الصوفية، لقب بسلطان العاشقين. له ديوان شعر مطبوع، شرحه عدد من الشراح أبرزهم الشيخ حسن البوريني والشيخ عبد الغني النابلسي. انظر: ابن الفارض، **ديوان ابن الفارض** (بيروت: دار صادر، 1957). (المحرر)

خاصةً واستطاع النظام الأردني أن يحتويهم كما احتوى الناس، ووجّه النظام الناس للحرس الوطني الذي اعتقدوا أنه طريقهم لتحرير فلسطين.

الحياة المدرسية

تلقيت تعليمي الأولي في مدرسة "الشيخ سعيد الناظر"، ثم انتقلت إلى مدرسة "ابن رشد" وبعدها إلى مدرسة "أسامة بن منقذ" حتى الصف السادس، ثم درست ثلاث سنوات في مدرسة "بور سعيد" والتي سميت فيما بعد مدرسة "الأمير محمد"، التحقت بعدها بمدرسة "الحسين بن علي" وأنهيت تعليمي الثانوي فيها.

Towards Confrontation: Memoirs of Dr. Adnan Maswady Regarding the Muslim Brotherhood in the West Bank & the Founding of Hamas

Edited by:

Bilal Mohammad

هذا الكتاب

تسلط هذه المذكرات الضوء على الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حركة حماس، وعلى بعض أوجه الاجتهاد في العمل بين قادة الإخوان في الضفة الغربية في القضايا المختلفة. وتُظهر المذكرات أن حركة الإخوان المسلمين، تميزت عن غيرها من الحركات الإسلامية المعاصرة بالانفتاح على كل جديد، والاستعداد للمراجعة والتجديد؛ وأن التزامها بالشورى يعصمها من الانحراف عن خطها الوسطي.

وينتقل الدكتور مسودي في مذكراته بالقارئ من مرحلة إلى أخرى من تاريخ الجماعة في فلسطين، بدءاً بمرحلة النشأة التي كان والده ممن لهم دور مهم فيها، مروراً بمراحل النضج والانتقال من مستوى العمل الثقافي والاجتماعي إلى مستويات غير مسبوقة من المقارعة والنزال في ميدان السياسة والجهاد؛ حيث كان له فيها دور بارز، موجهاً، وقائداً، ومربياً.

وبلا شك، فلا غنى عن هذا الكتاب لكل المعنيين بالدراسات الفلسطينية، وبالتاريخ الفلسطيني المعاصر، وخصوصاً تاريخ جماعة الإخوان المسلمين.

ISBN 978-9953-572-17-8

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت